

The "Nietzschean" human-building project

Krifik boulanouar¹

krifikb@yahoo.com

Kadranihakima tayebuniversity017@gmail.com

Abstract:

Man is a mass of concepts with political, economic, social, religious, psychological, and mental dimensions. We can say that he is a reflection of his environment. However, Nietzsche's man is an individualist, who only represents himself and no one else. He has absolute freedom and a powerful will in self-realization and the maker of his destiny. His description is strength based on the struggle of existence and survival of the strongest, his principle is I feel that I exist, the value of his existence in achieving the act of force in life, and strong will is the main engine in the action of his human being, he is that human who achieves the meaning of his existence in word and deed to add value, he is the center of the universe in art High.

Keywords: existence; space-time; Will; universe; abilit.

مشروع بناء الإنسان "النيتشوي"

The "Nietzschean" human-building project

الباحثة : د/ حكيمة قدراني²

الباحث: د/ بولنوار كريفيف¹

جامعة زيان عاشور – الجلفة -

جامعة الجزائر -2-

tayebuniversity017@gmail.com krifikb@yahoo.com

تاريخ النشر: 2023/08

تاريخ القبول: 2023/07

الملخص

الإنسان عبارة عن كتلة من المفاهيم ذات أبعاد سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية ونفسية، وعقلية فنستطيع القول بأنه انعكاس لبيئته، غير أن إنسان "نيتشه" فرداني، لا يمثل إلا نفسه ولا يمثل غيره، له الحرية المطلقة والإرادة المقترنة في تحقيق الذات وصناعة قدره، صفته القوة المبنية على صراع الوجود والبقاء للأقوى، مبدؤه أنا أحس أنا موجود، قيمة وجوده في تحقيق فعل القوة في الحياة، والإرادة القوية هي المحرك الأساس في فعل إنسانه، هو ذلك الإنسان الذي يحقق معنى وجوده قولاً وفعلًا لإضفاء القيمة، فهو مركز الكون بفنية عالية.

الكلمات المفتاحية: الوجود؛ الزمكان؛ الإرادة؛ الكون؛ القدرة

1. مقدمة:

تجلى الموقف التاريخي لـ "ألمانيا" في نهاية القرن 18م بانعكاسه تماما في كتاب "كانط" (نقد العقل العملي)، بينما كانت البرجوازية الفرنسية التي قامت على الثورة ترتفع على السلطة وتغزو القارة الأوروبية، وبينما كانت البرجوازية الإنجليزية التي سبق لها أن تحررت سياسيا تُنَوِّر الصناعة وتُخَضِّع بقية دول العالم تجاريا. لم يذهب البرجوازيون الألمان في عجزهم إلى أبعد من "الإرادة الطيبة"، أو ما يعرف بـ"النية". واستكانوا رضا بهاته الإرادة حتى لو بقيت مطلقا — العالم الآخر — وهذه "الإرادة الطيبة" هي الانعكاس التام للعجز والصمود والبؤس لدى البرجوازيين الألمان، والتي لم تكن مصالحهم التافهة قادرة على التطور بحيث تجسّد المصالح القومية المشتركة، وهذا ما قادهم على أن يكونوا مستغلين باستمرار من جميع الأمم الأخرى، كما تسببت هذه المصالح المحلية التافهة في ضيق النظر والأفق، إضافة إلى هذا بروز النزعة المادية، والتي كان على رأسها "فيورباخ" من خلال برهانه على أن العالم الديني ليس سوى الانعكاس الوهمي للعالم الأرضي المجرد فحسب، هنا قام السؤال الذي بقي بدون جواب: كيف حدث أن الناس حشروا في رؤوسهم هذه الأوهام؟ هذا

مما عبّد الطريق كما قلنا إلى النظرة المادية إلى العالم، وإلغاء فكرة "المقدس"، فـ"المقدس" هو الإنسان فقط. من خلال هذه البنية البيئية المناخية التي انعكست على فكر "نيتشه" وانتج لنا فلسفة عرفت بفلسفة القيمة. فماهية نظرة وفلسفة "نيتشه" في الحياة؟ ماهي أهم معالم فلسفته؟ ماهي العوالم التي بنى "نيتشه" بها فلسفته؟

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لبناء الموضوع

2. أسس فلسفة بناء الانسان عند "نيتشه"

1.2. فعل الوجود والحياة:

إن نظرة "نيتشه" وجوهر أفكاره ترتكز على مسلمة بديهية إلى حد ما، تتلخص في أن مفهوم الحياة لا يتبع التدفق الدائم للحجج المنطقية، بل على المرء أن يخاطر متجاوزاً حدود المعقول لكي يعيش حقيقة الحياة بآتم معنى الكلمة¹. أو هي إيجاد حقيقة صحيحة أو فكرة للمرء أن يعيش أو يموت من أجلها، إن فلسفة "نيتشه" ما هي إلا انعكاس لشخصيته، وهذا ما حققه "نيتشه" إلى أعلى حدّ، وخاصة أنه كتب كُتبه بدمه، حيث أن حقيقة الحقائق عند فيلسوفنا تتمثل بتلازمة الفكر والحياة، لا نستطيع فهم الواحدة دون الأخرى، فكلاهما يحدد الآخر، ومنه أصبح هذا الاتجاه أو النظر لهذه الأمور إلزاماً لصورة الفلسفة الحقّة، ومنطلق لكل عمل فلسفي يستند إلى معادلة صريحة، والتي تُقرّ أن الفكر لا يكون له قيمة إلا إذا انبثق من الوجود عينه، أو بقراءة أخرى: استغراق الحياة بأكملها والقبول بكل المخاطر التي ستنتشأ عن هذا الاستغراق.

ذلك لأن الفلسفة والتفلسف ما هو إلا نتاج فكر يتشكل في الهم والألم والقلق عبر تولونات وتقلبات الوجود الفردي، ولا تكف له قيمة إلا عبر مراتب الحياة، وبقوتها الضاربة في جذور، الأفكار ناقما على كل ما هو نظري أو ما يسمى (الإنسان النظري)² الذي لا تربطه الصلة بجسده، هذا الإنسان كأنه غير متجسد، عابد لمعرفة مقدسة وظاهرة لم يدنسها شيء والتي هي في حقيقتها لا زمانية، وتتصف بالمطلق، ويمكن القول الآن إن فلسفة فكر "نيتشه" يقوم أولاً على التجربة ويمكن اعتبارها إلى حد ما (انطولوجيا) — علم الوجود — فهي دائماً الأساس، وهي نفياً مطلقاً لأي موضوعية، وتمزق لحظات التاريخ التي هي نقائض وفق منهج "هيجل"، وحتى الاتساق المذهبي عبثٌ ووهمٌ، لأن الحياة تغيير متصل لا ينقطع إلى الشيء — وضده، فالحياة إذن لا تلاؤم لها مع الاتساقات المذهبية، والسبب في ذلك هو شعورنا بتعقيدات الوجود الذي يستبعد ويلغي أي ادعاء لمنطق المذهب الصارم، فالواقع إذن نسيج من الأضداد وصراعات مختلفة، يستحيل معه أن يُستوعب ويُقوّل في مظهر واحد، فنحن نجد كل إيجاب يستدعي سلباً، وكل نفي يشتمل على تأكيد، فينجرّ عن هذا التعدد للمواقف ووجهات النظر المتضادة والمتعارضة إضفاء لبعد العمق عن الحياة والتاريخ، وبالتالي يجعلنا هذا الأمر ندرك التجربة الوجودية إدراكاً باطنياً ذات حقيقة دialeكتيكية — جدلية — وفق هذا الأمر اعتبر "نيتشه" كُتبه لحظة من لحظات الديالكتيك الحي التي لا ترتبط بصورة الماضي، لأن كُتبه حسبه ينبغي أن تُؤرخ بتاريخ أسبق من التاريخ الحالي، فهو يرى أننا إذا كنا نعيش متجهين إلى الأمام فإننا نفكر دوماً متجهين إلى الخلف.

2.2. فكرة موت الإله وميلاد الإنسان الأعلى

عندما أعلن "نيتشه" موت الله كان هذا الإعلان بمثابة مبدأ حاسم عن وحدة الإنسان منذ ذلك الحين، لأن ما يترتب عن القول بموت الله يعدل القول بأن الإنسان صار وحيداً في هذا العالم.

لكن تأكيد "نيتشه" يذهب إلى أبعد من ذلك، فما ينفيه هو وجود ما هو مغاير في أي شيء كان، فقتل الإله لا يكفي، بل يجب نفي وقتل كل القيم التي ننتعها بالعليا الصادرة عن المقتول (الله)، وهذا يطال عصر المسيح وحتى إلى سابقه "سقراط"، فلا بد للإنسان أن يتحرر من مصطلح الطاعة التي تعني خضوع الإنسان وتعني تاريخ الخضوع، والذي هو كذلك تاريخ نفي الحياة باسم الطاعة للقيم العليا كانت أم بشرية، والتي تقمع الحياة وتنفيها فـ"نيتشه" يعلمنا كيف نرفض كل سلطة، ويعلمنا كيف نرفض كل سلطة خارجية حتى نحافظ على وحدة هوية الفكر والحياة، ولن يتأتى هذا إلا عبر التطهير الذي هو "العود الأبدي". لقد أضفى "نيتشه" مفهوماً جديداً للحقيقة، حيث جعلها تنزل وتهبط من سمائها الميتافيزيقية والمنطقية لتتوضع على الصعيد النفسي والأخلاقي للفرد، زيادة على ذلك لم تعد الحقيقة تطابق للفكر مع المنطق، بل أصبحت اعتقاداً واختياراً شخصياً يعيش وفقه الإنسان في هذه الحالة لا وجود للتمييز القديم بين الحق والباطل يدل على أي قيمة أو ضرورة، فكل شيء نابع عن كل ذات وتعبير عنها — الشخصية العينية — ولن يتأتى هذا إلا إذا نبذنا وهم (الموضوعية) وأرجعنا الحقائق للترجمة عن التجربة والوجود.

¹ - "توماس آرفلين"، الوجودية مقدمة قصيرة جداً، ترجمة مروة عبد السلام، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2013م.

² - "رجيس جوليفيه"، المذاهب الوجودية من كير كارل إلى جان بول سارتر، ترجمة فؤاد كامل، دار الآداب بيروت،

هذا ما يجرنا حتماً إلى إنهاء وثبات ودوام تستند إليه سماء الحقيقة التي قد انتهت بموت الإله وانهايار فكرة المطلق بصورة حاسمة، فبقي فقط عالم الإنسان وتاريخ الإنسان، والإنسان موجود وليس هناك سوى الإنسان، فلا حقيقة إلا حقيقة الإنسان الذي ليس وجوده وجوداً نهائياً، إنما هو في حال صيرورة، وعلى هذا الحال انعكس الأمر على الأخلاق التي هي صورة نسبية لا تكتمل قط في صيرورة التاريخ التي أقرّ بها سابقه وأستاذة "كانط"، والقائم في اللانهاية هو هذا الإنسان الأعلى والذي في كنهه تجاوز لذاته دائماً، فإنسان "نيتشه" في الحقيقة هو ذلك الموجود الذي يحيا في الأطراف البعيدة والذي يعتمد على نفسه وحدها في اختيار ذاته فقط، وألا يختارها إلا لكي يَبَّ إلى ما ورائها باستمرار، وهو — الإنسان الأعلى — عبارة عن مستقبل لا يمكن للحاق به أبداً، لأن الحقيقة تؤكد أن الإنسان في حقيقته هو اندفاع ووثبة نحو ممكن يفلت منه إفلاتاً أبدياً.

هذا مما دعا "نيتشه" إلى عالم القيم والأخلاق معياراً للأخلاق البرجوازية التي هي على حسب رأيه أخلاقٌ حسب المقاس، فكان لا بد من إرساء أخلاق جديدة: أخلاق الإنسان الأعلى — السوبرمان — التي هي حرية وحرية في إبداع القيم هي أخلاق نسبية صرفه، لكن لها دلالاتٍ ومعاني جديدة تحدث تحويلاً حقيقياً لقيم العالم، فخلقت إذن مشكلة تقدير القيم، وخاصة من حيث المقصد.

فلسفة "نيتشه" فلسفة قلق في تموقع الإنسان في هذا العالم، وفي حياته البيولوجية وغيرائه وما يحيطه من قوى كونية، فأصبح الإنسان يتنازع ذلك الشعور بالتناقض الذي هو في صميم الفرد، والذي يستوجب من الفرد تأكيد فرديته، وأن هذه الفردية ليس لها في الوقت نفسه حقيقة عينية ولا قوة إلا حين تغوص في محيط الحياة العضوية، وأن تتلاشى فيه تماماً هذا التوتر النيتشوي يرمز إلى ذلك التعاضد بين العنصر الديونيزي والذي بواسطته ينسلخ الإنسان عن نفسه ليشارك في شيء أبعد مدى وأشد عمقا، وكذا بين العنصر الأبولوجي الذي هو منبع الحياة الفردية والوعي الشخصي.

3.2 فكرة العود الأبدي والعوالم الممكنة

إن كنه القلق النيتشوي هو تعبير عن ذلك الأساس بالصراع المطلق الذي لا حل له، صراعٌ يتمزق فيه الوجود. وإذا بلغ هذا القلق منتهاه وحده الأقصى أقصى إلى الجنون، وقلق "نيتشه" يتغذى من فكرة "العود الأبدي"، وهي تقوم على تخيل "نيتشه" أو مخيلته — أنه أي "العود الأبدي" — يقود عالم الظواهر إلى الحدود التي يخلق فيها العالم نفسه، فهناك الملاذ الحقيقي الفريد الواقع الحقيقي، فالقلق ينبثق بالضرورة من الحاضر، وهو سلب في ذاته، وفي حالة حركة العلة والغاية، كما أنه عنصر في حلقة تأثير الدوار، يدور الإنسان داخلها أبداً دون سبب أو مبرر، عائداً باستمرار ودون انقطاع إلى النقطة نفسها. فهو مرغم على تجاوز "هو"، كأنني به عودة إلى الوراء، وهو كل ألم يجري على الإنسان، فـ "نيتشه" في الحقيقة أَلَمُ الألم، حيث يبلغ به الألم إلى نقطة فيها يستهلك نفسه، وينطوي على ذاته، فينتهي به الأمر إلى الجنون حتماً، فالإنسان عنده لا بد أن يتواجد في الأماكن المنعزلة، وإنه نبي يدعُو إلى رسالته الخاصة وينكرها في الوقت نفسه، وهذا التناقض ليس عيباً بل هو بحث على آفاق وعوالم جديدة ومجهولة، فلا يستقر به الأمر في مكان. ربما ينازع بعضهم في دعوة أن "نيتشه" — بمعاداة المنطق والعقل وكل حقيقة عقلية وفلسفية — لا يمكنه الجنوح إلى النظر المنطقي في نظريته للعالم، وفي هدمه للعوالم النظرية التي شيدها الفلاسفة قبله، حين اعتبرها أوثاناً، مؤسسا لعالمه الممكن الخاص، وهي قد تكون عوالم متفردة و"فكرة العوالم الممكنة" أو ما يعرف بمنطق الموجهات (Logique des modalités) الذي عُرف في أرغانون "أرسطو" وتطور في الوقت المعاصر مع "كريبكي" و"هينتيكا" بينما نسب بعضهم إلى الفيلسوف الألماني "ليبنز" السابق في الكلام عن العوالم الممكنة بناء على دعوة تقول: «أن عالم الواقع ليس هو العالم الممكن الوحيد، بل أن هناك عوالم متعددة، إن عالم الواقع هو أفضل هذه العوالم.»³

حيث نجد "نيتشه" يتكلم على العالم بصيغة الجمع فهو ليس واحداً، هي عوالم متشابهة أو متباينة، ولكل عالم مميزات تخصه معرفياً وانطولوجياً وأخلاقياً. فالعالم بلسان "نيتشه" متعدد، من ذلك مثلاً: العالم الصادق، العالم الكاذب، عالم الظاهر، عالم المظاهر، عالم الضعفاء، عالم الأقوياء، عالم الما وراء، عالم الصيرورة، عالماً الخ. وكل هذه الشواهد تجعل "نيتشه" يتناولها تناولاً مشروعاً.

إن نقد "نيتشه" الميتافيزيقا وهدم تصوراتها هما قلب للعالم الصادق ونقضه حتى يمكنه التمييز بينه وبين العالم الظاهر سواء على الطريقة الأفلاطونية، أو طريق الاعتقاد المسيحي، أو التصور الكانطي، أو التقويم الوضعي. هذا النقد هو في الوقت نفسه بناء لعالم "نيتشه" الخاص: عالم الصيرورة والعود الأبدي والإنسان الأعلى.

ولقلب هذه العوالم المعتمدة صادقةً استعمل مقولتي "الإمكان والاستحالة"، وأحياناً يستعمل مفهوم "الولوج" أو "علاقة الولوج"، حيث يقول إنَّ العالم الصادق ممكن الولوج للحكيم وللمتدين، وللفاضل، إنه يحيا داخله، إنه هو، ويقول

³ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوين العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006، ط2، ص: 347.

كذلك إنَّ العالم الصادق غير ممكن الولوج الآن، لكنه موعود للحكيم وللمتدين، وللفاضل، للخطأ الذي كُفِّر عن ذنبه. وهنا تكون لحظة الحزم، اللحظة الفارقة، لحظة القطع النهائي مع خرافة العالم الصادق، إنها اللحظة المصيرية، إنها تاريخ "خرافة" تصورات الدين بكهنته، والفلاسفة، وأنصاف الكهنة، وكل هذا الهيكل حول هذا العالم ما هو إلا محض تخيلات أو أوهام لا صلة لها بعالم الواقع: العالم الحالي. فخرافة العالم الصادق هي غلط، غلط كبير يجب وضع حد له، كما يمكننا منطقياً القول بأن هناك ثلاثة تأويلات للعالم: العالم، والعالم الوضعي، وعالم "نيتشه".

هذا أدى إلى تراتبية منطقية متمثلة في أن الأصل المجرد لفكرة العالم هو "أفلاطون". فكما قال "لويس" 14: "الدولة أنا"، أو كما قال "سبينوزا": "أنا الحق" يقول "أفلاطون": "أنا أفلاطون أنا الحق". وإن العالم الآخر عند المسيحية مجرد عالم أفلاطوني معدل ومبسط ومخصّص للرعاع والسوقيين، عالم مشوه (سيمولاكرا)، والعالم الصادق عالم الشيء في ذاته في عمقه السحيق مسيحية متكررة، عالم توارث شمس خلف سحب داكنة السحب الألمانية. فهذه العوالم بحسب "نيتشه" تعمل على التعالي عن عالم الواقع، وابتداع عوالم بعيدة تحققها عوالم "الإمكان المثالي"، والتقسيم الاعتباطي للعالم إلى: (عالم صادق وعالم الظاهر) ليس سوى فكرة من عالم الانحطاط، إنها اعتراض عن الحياة.

ويمكن أن يتبدد الغموض في الدافع الذي يجعل "نيتشه" يقوم بجمع الفيلسوف والمتدين والفاضل في مربع واحد حسب التوالي والتساوق والترتيب الزمني، حيث يضع الحكيم أولاً، يليه المتدين، ثم الفاضل، أي أن الأفلاطونية هي الأصل، تتبعها المسيحية، وهي مجرد أفلاطونية موجهة للعوالم، ثم الأخلاق الكانطية، والتي هي مجرد مسيحية متكررة بلباس العقل العملي، فحسب "نيتشه" العالم الصادق عالم متعذر لم يلجأ أحد، وبالتالي فهو مجهول، ويترتب على أنه عالم لا هو بمخلص أو ملزم. والتساؤل الحقيقي: كيف لشيء مجهول أن يلزمنا؟.

والحال نفسها مع النظر العلمي للعالم الصادق، حيث يضع "نيتشه" العلماء والكهنة في كفة واحدة، ويعيب على العالم عدم قدرته على تجاوز المثل الزهدية إن لم يكن هو منتجاً للعدمية، فكلاهما له القيمة نفسها عند "نيتشه" — العالم والكاهن — والاختلاف فقط في الأسلوب، إضافة إلى ذلك أن "نيتشه" يؤسس نقده للفلاسفة على نكرانهم الحياة واختلاق عوالم وهمية.

لما كان العالم الصادق ليس له وجود لا في الأذهان ولا في الأعيان، وهو مجرد خرافة استبدت بتاريخ الفلسفة منذ "أفلاطون" إلى غاية العصر الحديث، واختلق هؤلاء إضافة إلى المسيحية خيالات وأوهاما — العالم الصادق — ظنا منه أنه العالم المخلص من المعانات والآلام التي هي من صميم عالمنا الأرضي، فكان لزاماً على "نيتشه" أن يبسط لنا منظورا جديداً وتأويلاً مغايراً للعالم الممكن.

3. حقيقة العالم عند "نيتشه"

إن "نيتشه" لا يقلل تعويض العوالم المستحيلة — العوالم الصادقة — بعالم آخر، عالم خارج عن هذا العالم، عالم الأرض هنا والآن. والعالم عنده ليس «العالم المتسامي» بمعنى العالم المتجاوز لعالمنا، عالم الحواس بل أن "نيتشه" يطمح إلى التخلص من الفكرة القديمة التي تميز بين العالم الصادق — الحقيقي — وعالم المظاهر، أي أنه يرفض النظرة الثنائية التي تقوم على أن عالمنا الوهمي المتغير والمتناهي عالم حقيقي خال، مناهض للعالم الظاهر. كما أن العالم عنده ليس في أنه عالم الثبات والهدوء، عالم الاستقرار والسكينة، بل العالم هو التغير والضرورة، بلا ثبات وفق منظور جديد للوجود في أنه يحمل الضرورة، ويقرنهما بفكرة "العود الأبدي". العالم هو الحياة بتناقضاتها ونقصها ولا انتظامها. فيه فوضى الوجود ومتاهته، وهاته الحياة هي قيمة القيم ومبدأ الكون، فالحياة هي الحياة كما نحيها هنا والآن، ولا نحتاج البحث عنها في الخارج، وحقيقة العالم عند "نيتشه"، هي "إرادة القوة" التي يكتسب الإنسان قيمته من خلالها، وهذا العالم خاصيته خاصة معقوليته، سيكون "إرادة القوة" لا غير، فالعالم في داخلنا. وفي عالم "نيتشه" هذا تنعدم الحتمية والسببية بالمعنى الذي نراه في عالم الإمكان المنطقي ونحن نحيا في هذا العالم وفق إمكانية وبواسطة "حب القدر" وأن نقول لهذا العالم نعم.

إن فلسفة "نيتشه" كعصارة فكرية بشرت بالوجودية المعاصرة، وهي تتأسس على أولوية الذات وقيمتها ولا تتسع لشيء سواها، تأكيد وإقرار الوجود باعتباره قيمة جوهرية. وجوداً مقدّم على ماهية الإنسان ومحدد لها، الإنسان هو في حقيقته ثمرة لألم الحرية وعملها، وضرورة تجاوز الإنسان نفسه دائماً وعدم الركون إليها، أو إلى أي كسب ثابت عقلي كان أم أخلاقي، هو إنسان مخاطر، وتكون عظمتها في حتمية اليأس والقلق.

والحق أنه يمكن أن نقول إن تجربة "نيتشه" الفلسفية كانت وليدة مزاجه وشخصيته وظروفه. حيث كان يغلب على مزاجه التأثر والحماسة والحدة أحيانا، واجتمعت في شخصيته متناقضات كثيرة، حيث نلاحظ ذلك التناقض البين والصريح بين حماسه المترفعة وكذا اشمئزازه العميق أين تولدت عن هذا المخاض فلسفة لا تدين بالرحمة، بل اعتنقت قيمة تدعو إلى القسوة بدل الإحسان، تبني القيم بعد زعزعة يقين القيم السابقة، قيم جديدة لا تتصف بالثبات والسرمدية، ولا تنتج أخلاقا

مطلقة، فمصدر القيم عنده لا يرجع إلى خارج الإنسان، بل دعواه تستلزم منا الرجوع إلى أعماقنا ذاتها لكي نستكشف القيم الجديدة بالتزامنا بها.⁴

4. خاتمة:

التجاء "نيتشه" في مشروعه الفلسفي إلى حقيقة مفادها ينبع من مصفاة خاصة يكون فيها "نيتشه" مراقبا للحياة، وفق آليات ثلاث: مراقبا للحياة من وجهة نظر نقدية تعتمد إلى بناء مفاهيم جديدة ومتجددة، يمكن أن نقول (تطورية) على سلم القيم الذي بناه "نيتشه" كبديل لقيم العدمية. مراقبا للحياة من وجهة نظر عقلانية والتي ضبطها "كانط" قبله في تبيان حدود العقل الخالص — المحض — الذي يستقي معارفه على حدود ومشارف الوجود ولا يمكنه التعدي والتجاوز إلى مستويات فوق وجودية. ومراقبا الحياة بمفهوم ومن خلال مفهوم خاص أو ذاتي، أي أن مفهوم هذا الوجود من خلال تجربتي فيه وبه، أي أنه ابن الأرض. ومعيار الحقيقة التي ناشده "نيتشه" تكمن في تقوية الشعور بالقوة وليست القوة كقوة، من الناحية الفيزيائية، بل هي شعور وإحساس داخلي ينبع من أعماق الأنا كقوة داخلية (سيكولوجية استبطانية). كما يتلمس "نيتشه" الحياة والتي هي ألم ومأساة، والتي يمكن تحويلها عن طريق الفن إلى عبقرية وإبداع، وهنا تكريس واضح وجلي على (الإنسان التقني) الذي أشار إليه "نيتشه" ضمينا.

فحقيقة المسار الفلسفي والفكري لـ: "نيتشه" يتمثل في محاولته في تحويل العالم والحياة الإنسانية عن طريق وسيط يتمثل في الفن، فحين يتحقق هذا يصبح لديك القدرة أن تقول "نعم" للعالم من حيث أنه ظاهرة جمالية.

إن فكرة الجمال هي التي بنى عليها "نيتشه" فلسفته، كدعامة متأصلة في البناء الحضاري وفي ازدهار البشرية، والذي هي عبء يقع على كاهل أولئك الذين لهم القدرة على تحويل الوجود إلى ظاهرة جمالية، ولا يكفي هذا، بل أن يبرزوه للناس ويُظهروا لهم على أن لهذا الوجود ماهية جمالية، فهؤلاء هم العباقرة والمبدعون، أصحاب القوى الخلاقة في الإنتاج الثقافي الأسمى، فالعبقرية هي إنتاج وصناعة وهدف وغاية الثقافة وتبريراتها. فأفكار "نيتشه" في هذا المجال تعتمد على علاقة البنية التحتية في صراعها مع الحياة، هذا الصراع الذي يضيف على وعي خاص، وهو بدوره يشكل البنية الفوقية للمجتمع، ويمكّننا من إنتاج العبقرية التي هي مجموع الوعي العام لهذه البنية سواء في الفن أم الموسيقى أم الفلسفة...، فالعبقرية جوهر الوجود وأداة فاعلة في إضفاء الجمالية عليه.

إن فكرة الإنسان الأعلى عند "نيتشه" تقوم على الفيلسوف الذي يمكن له أن ينظر بعين التأمل الثاقبة في تغيير ما يجب أن يتغير، وأن يكون المثال الأعلى للفيلسوف في حكمه على الحياة أو كخالق للقيم، أن يكون "زرادشت" أي أن يكون نبيا حاملا معه كتابا مقدسا فيه شرعة جديدة.

⁴ - "رونالد سترومبرج"، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث 1601-1977، دار النشر القارئ العربي جمهورية مصر العربية القاهرة، ط3: 1994.

5. قائمة المراجع: طريقة

- 1- " أرفلين توماس"، (2013م) الوجودية مقدمة قصيرة جدا، ترجمة مروة عبد السلام، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة.
- 2- " جوليفيه رجبس"، (1988) المذاهب الوجودية من كير كارد إلى جان بول سارتر، ترجمة فؤاد كامل، دار الآداب بيروت.
- 3- "عبد الرحمان طه"، (2006) اللسان والميزان أو التكوين العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 4- سترومبيرج رونالد، (1994) تاريخ الفكر الأوروبي الحديث 1601-1977، دار النشر القارئ العربي جمهورية مصر العربية القاهرة.